هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر

د. العياشي روابحي
قسم التاريخ، جامعة باجي مختار- عنابة، rouabhi23000@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2015/11/12 **تاريخ المراجعة:** 2018/02/25 **تاريخ القبول:** 2018/03/26

ملخص

في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر نسجت الإدارة الاستعمارية علاقة تحالف مع بعض العائلات الجزائرية الكبرى لتحقيق مقاصد استعمارية صرفة. يحاول هذا المقال أن يسلط الضوء على طبيعة هذه العلاقة وتطوراتها، وسياسة الإبادة الجماعية التي انتهجها المستعمر تجاه هذه العائلات، ما أدّى إلى ثوراتهم وهجرة أعداد هائلة منهم إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن 19، للفكاك من مضايقات المستعمر حيث انتقم منهم انتقاما أرعن ففرّق جموعهم وطبق ضدهم عقوبات قاسية شملت مصادرة الأملاك والسجن والنفي إلى الخارج و نحو ذلك.

الكلمات المفاتيح: إدارة استعمارية، علاقة تحالف، عائلات كبرى، سياسة إبادة جماعية، هجرة، القرن التاسع عشر.

Emigration of some of the famous Algerian families to Tunisia during the second half of the 19 th century

Abstract

At the beginning of the French conquest of Algeria, the colonial administration established a relationship of alliance with some Algerian famous families to achieve the colonial objectives. This article tries to shed light on the nature of this relationship and its developments. Also the trick Policy pursued by the colonial power towards these families led to their revolution and migration of great numbers of them to Tunisia during the second half of the 19th century, to escape from harassment of the colonizer who avenged them by imposing harsh sanctions including: imprisonment, confiscation of property and exile.

Key words: Colonial administration, relationship of alliance, famous families, tricks Policy, migration, Tunisia, 19 th century.

Emigration de quelques grandes familles algériennes vers la Tunisie pendant la deuxième moitié du XIXème siècle.

Résumé

Au début de la conquête française de l'Algérie, l'administration coloniale a lié une relation d'alliance avec quelques grandes familles algériennes pour des fins coloniales. Cet article met le point sur la nature de cette relation et son évolution, ainsi que la politique rusée appliquée par l'occupant contre ces familles qui se sont révoltées. Et par conséquent, le colonisateur français a réagi impitoyablement contre ses insurrections. De leur côté, ces familles ont choisi l'émigration en Tunisie durant la 2ème moitié du XIXème siècle pour se mettre à l'abri des pressions coloniales.

Mots-clés: Administration coloniale, relation d'alliance, grandes familles, politique rusée, Tunisie, XIXème siècle.

المؤلف المرسل: العياشي روابحي، rouabhi23000@gmail.com

مقدمـــة

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثارت بعض العائلات الجزائرية الكبرى ضد السلطة الاستعمارية الفرنسية، بعد أن تحالفت معها في بداية الاحتلال وخدمت مقاصدها بإخلاص. وبفعل المضايقات التي طالت هذه العائلات بعد القضاء على ثوراتهم، فقد فضلوا الهجرة إلى البلاد التونسية. ويبدو من خلال وثائق الأرشيف المحفوظة في خزائن الأرشيف الفرنسي والأرشيف الوطني التونسي أنه بعد استقرارهم هناك باشروا عدة اتصالات بالرسميين التونسيين، وكتبوا لهم عدة عرائض مطلبية ورسائل حدثوهم فيها عن أوضاعهم الاجتماعية المتدهورة ملتمسين منهم إسعافهم ومساعدتهم على الاستقرار في البلاد التونسية.

فكيف بدأت علاقة المستعمر الفرنسي بهذه العائلات؟ و كيف تطورت؟ لماذا بذل المستعمر الفرنسي قصارى جهده لاستمالتهم للعمل في صفه؟ ما هي الخدمات التي قدموها له؟ ولماذا ثاروا ضده في نهاية المطاف؟ هل ثمة علاقة سببية بين هجرتهم إلى البلاد التونسية وسياسة المستعمر الفرنسي الجائرة المطبقة ضدهم.

كيف نظر إليهم بايات تونس؟ هل امتثلوا لمبادئ الشريعة الإسلامية التي تقضي بحماية وإغاثة اللاجئين خاصة إذا كانوا لاجئين مسلمين ومن بلدان الجوار وهل حاولوا مساعدتهم على تحسين أوضاعهم الاجتماعية التي تدهورت هناك؟ كيف كان موقف الفرنسيين من هذه العائلات التي استقرت بالبلاد التونسية خاصة بعدما فرضوا حمايتهم الاستعمارية عليها عام 1881م؟ هل صرفوا أنظارهم عن الثورات التي أعلنوها ضدهم وحاولوا التصالح معهم هناك أم أنهم بقوا يضمرون لهم العداء ويتوجسون منهم؟

إن الإجابة عن هذه ا لتساؤلات تتطلب منا الإحاطة بالسياسة التي انتهجها المستعمر الفرنسي تجاه هذه العائلات ودورها في هجرتهم، ثم التعرض إلى بعض النماذج من هذه العائلات التي هاجرت إلى البلاد التونسية، و أخيرا نحاول التطرق إلى الأوضاع الاجتماعية المتردية لهذه العائلات رغم محاولة بايات تونس إسعافهم وتقديم يد المساعدة لهم.

I- السياسة الاستعمارية تجاه العائلات الجزائرية الكبرى ودورها في هجرتهم:

لا بد من الإشارة في البداية إلى أن العائلات الجزائرية الكبرى كانت تحظى بنفوذ كبير قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، وقد حازت على هذه المكانة بواسطة نسبها الشريف وقوتها العسكرية[1]، لذلك يصنفها الكتاب والمؤرخون بحسب هذه المقومات التي استمدت منها نفوذها إلى عائلات دينية (مرابطية) وعائلات عسكرية[2]. ويصطلحون على تسميتها بالعائلات الكبرى، كما أطلقوا عليهم تسميات أخرى كالعائلات المتنفذة، والخيام والكبرى ونحو ذلك من التسميات التي تفيد الحظوة والتبجيل والنفوذ، وكانت هذه العائلات محل تقدير السلطة السياسية، حيث منحها الحكام العثمانيون امتيازات هامة كالإعفاء الضريبي وحيازة الأراضي ونحوها[3]. وفي مقابل ذلك انكبت معظم هذه العائلات على خدمة العثمانيين و مكنتهم من إحكام قبضتهم على الأرياف والمناطق الوعرة والبعيدة عن نفوذهم[4].

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، عمل الفرنسيون كذلك على استقطاب هذه العائلات إلى صفهم ليساعدوهم على بسط نفوذهم على الجزائر، وفي الوقت نفسه محاولة صرف أنظارهم عن الالتفات إلى المقاومة الوطنية المسلحة التي واجهتهم في بداية الاحتلال، وخاصة مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري (1832م–1847م)، والحاج أحمد باي قسنطينة بشرقها (1830م–1848م). وفي هذا المنظور باشر الحاكم العام

الفرنسي الماريشال "فالي" "Valée"* عدة خطوات عملية تحقق هذا الغرض، منها إصداره لوثيقة وجهها إلى زعماء القبائل وعموم سكان مقاطعة قسنطينة في بداية عام 1838م عرفت بـ «إعلان فالي» Proclamation » «de Valée حاول من خلالها استدراج زعماء العائلات الكبرى إلى المعسكر الفرنسي، ودعوتهم إلى بذل الجهود والتعاون مع الفرنسيين وعدم الالتفات إلى الأمير عبد القادر محاولا تضليلهم ومدعيا أن هذا الأخير ليس في مقدوره مد نفوذه إلى مقاطعة قسنطينة[5]. بعد ذلك عمل الماريشال "فالي" على ترسيم هذه العلاقة تقنينها، فأصدر مرسومه الشهير المعروف بمرسوم الماريشال "فالي" في 1838/09/30م، الذي مثل بداية العلاقة الرسمية للإدارة الفرنسية مع العائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة. وقد تشكل هذا المرسوم من ديباجة Une préambule وعشر مواد[6]. ومنح زعماء هذه العائلات لقب "الخليفة"، وزودهم بعدة صلاحيات تتمثل في حقهم في اختيار شيوخ القبائل واقتراح المترشحين لمنصب القايد وتقديمهم إلى مسؤولي السلطة الفرنسية. ويتعلق الأمر بعلي بن عيسى الخليفة السابق للحاج أحمد باي قسنطينة، والذي أسند له حكم المنطقة الممتدة من جبال إيدوغ بناحية عنابة إلى ناحية جيجل، وهي التي كانت معروفة بمنطقة الساحل، والشيخ علي بلحملاوي الذي أسند له منصب خليفة على منطقة فرجيوة، غير أنه واعتبارا من عام 1840م أسند هذا المنصب إلى الشيخ أحمد بوعكاز زعيم عائلة بوعكاز بن عاشور، والشيخ أحمد المقراني أحد وجهاء عائلة المقراني على رأس منطقة مجانة بالجهة الغربية لمقاطعة قسنطينة، ثم الشيخ فرحات بن السعيد زعيم عائلة بوعكاز الذواودة الذي حكم منطقة الزيبان بالجنوب القسنطيني. وقد اعترف له المرسوم بمنصب شيخ العرب الذي يحوز على كل الصلاحيات التي يتمتع بها الخليفة أي أنه يعادله، غير أن هذا المنصب نقل إلى عائلة ابن قانة اعتبارا من 1838/01/19م. يضاف إلى هذا، أسند المرسوم حكم الحراكتة و الحنانشة إلى الشيخ علي باحمد بلقب الخليفة كذلك[7].

وقد تم تقليد هؤلاء القادة الأهليين من قبل الماريشال "فالي" تبعا للتراتيب والإجراءات التي كانت سائدة خلال الفترة العثمانية، مثل إجراء أداء اليمين، وتلاوة التعهد بالوفاء لفرنسا، والالتزام بدفع ضريبة معلومة، والتعهد بضمان الأمن وفرض إرادة السلطة الفرنسية في المناطق و القيادات التي يحكمونها، و مساعدة الجيش الفرنسي بكل ما يحتاج من دعم مادي وبشري [8].

وتبعا لذلك ترجم زعماء هذه العائلات إرادة السلطة الفرنسية على مستوى المناطق التي حكموها، ومكنوا الفرنسيين في مختلف المجالات، وخاصة في المجال العسكري والضريبي. ففي المجال العسكري عضدوا الجيوش الفرنسية في حملاتهم العسكرية التي شنوها ضد السكان والقبائل الثائرة ضد السلطة الاستعمارية بحكم معرفتهم العميقة بطبائع السكان وجغرافية المنطقة التي يحكموها، فعملوا على مراقبة كل تحركات السكان، وتخابروا لصالح المحتل لأنهم كانوا يمثلون عيون الإدارة الفرنسية، وتنافسوا في تقديم كل خدمة من شأنها أن تسهل عملية الاحتلال. و يكفي للتدليل على ذلك أن الفرنسيين اعترفوا في تقاريرهم المختلفة أنهم لم يتمكنوا من إحكام قبضتهم على مقاطعة قسنطينة مثلا إلا بعد تحالفهم مع هذه العائلات، لأن ثلثي هذه المقاطعة كان خارج سيطرتهم قبل هذا التحالف[9].

أما في المجال الضريبي، فقد كان هؤلاء الزعماء الأهليون ملزمين بجباية الضرائب واستخلاصها من السكان التابعين لقياداتهم، وقد تميزت عملية جبايتها بالتعسف والتجبر. وكان القايد يسهر على تحصيل هذه الضرائب، ويشرف إشرافا مباشرا على هذه العملية السيئة السمعة، وقد عانى السكان معاناة كبيرة جراء التجاوزات التي كانت

تصدر عن هؤلاء القياد خاصة أثناء فترة تحصيلها وكان ظلمهم قد دفع بعدد غير قليل من السكان والقبائل إلى مغادرة المناطق التي يسكنونها، بل الهجرة إلى البلاد التونسية مثلما فعل سكان أولاد عريض عام 1854م عندما هاجروا إلى البلاد التونسية بسبب ظلم قيادهم و تصرفاتهم الخرقاء [10].

هذا الظلم الذي خلده هؤلاء السكان عبر قصائدهم وأشعارهم الملحونة ومدائحهم[11]. وقد حدثنا أحد المؤرخين عن علاقة القايد بالسكان في صدر الاحتلال قائلا: « إن القايد هو مصدر كل البلايا التي عصفت بالمجتمع الأهلي الجزائري، فقد تنكر لأصله وتعاون مع أعداء وطنه ضد شعبه... إن تعسفات القياد وتعاطيهم للرشوة ليست لها حدود، فكل قراراتهم الإدارية وتصرفاتهم تخضع لهذا المعيار... وأنه من غير المتصور أن تجد قلبا أكثر قسوة من قلب القايد الذي يأخذ الضريبة عنوة من السكان بمن فيهم الفقراء والمسحوقين. فالفلاح الذي يملك رأسا واحدا من الغنم يجبره على بيعها لدفع الضريبة الملقاة على كاهله. فإذا كانت قيمة هذه الضريبة عشرين فرنك فرنسي وباع هذه الماشية بخمسة عشر فرنكا، فإنه يسلبه مبلغ المبيع كاملا ويطالبه بالفرنكات المتبقية لاحقا...» [12].

ومهما يكن من أمر فإن الفرنسيين وجدوا من ينوب عنهم في إخضاع السكان عسكريا وضريبيا، وقد اعترفوا بكل الجهود التي بذلها زعماء هذه العائلات لصالحهم، وقالوا إنه بواسطة قادة هذه العائلات رسخت أقدامهم في المناطق الوعرة والبعيدة والتي لم يكن يدر بخلدهم الوصول إليها وفرض النظام الاستعماري فيها[13].

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق، هل حافظت الإدارة الاستعمارية الفرنسية على علاقتها المتميزة مع هذه العائلات؟ وإلى أي مدى بقيت ملتزمة بالتعهدات التي التزمت بها تجاه هذه العائلات بمقتضى مرسوم الماريشال فالي الآنف الذكر؟ وما هو هدفها الاستراتيجي من وراء تقربها من هذه العائلات؟

بعدما ركزت الإدارة الفرنسية نفوذها في الجزائر بمساعدة هذه العائلات، عملت تدريجيا على تحطيمهم متخذة في سبيل ذلك عدة أساليب تحقق هذا الغرض، وذلك تمهيدا لإذابتهم ضمن المجتمع الجزائري الذي سلطت ضده سياسة جائرة. فما هي هذه الإجراءات؟ وما هي مظاهرها؟.

عمل الفرنسيون على تشجيع سياسة فرق تسد بين هذه العائلات الكبرى لأنهم كانوا يدركون جيدا أن التنافس الذي تفرزه هذه السياسة من شأنه أن يسوغ الوجود الاستعماري بالجزائر ويثبته. ومن الأمثلة البارزة على هذا التنافس والذي انعكس إيجابيا على الوجود الاستعماري ما كان بين عائلة بوعكاز الذواودة وعائلة ابن قانة بالجنوب القسنطيني حيث اشتد الصراع بينهما على مناطق النفوذ وتنافس زعمائهما في خدمة الفرنسيين، وكانت كل عائلة تعمل جاهدة على إثارة القلاقل والاضطرابات في قيادة العائلة الأخرى[14]. وبالموازاة مع ذلك باشر الفرنسيون عملية تضييق واسعة النطاق على هذه العائلات، حيث جزؤوا قياداتهم وأشركوا عائلات أخرى منافسة لهم في حكم هذه القيادات لإضعاف نفوذهم، وكانوا يدعون أن هذه العملية جاءت في إطار "الإصلاح الديمقراطي"، وأن عملية "دمقرطة" حكم هذه العائلات كانت مرحلة ضرورية جاءت كوصفة علاجية للاختلالات التي ميزت نظام حكمهم[15].

يضاف إلى هذا أن الإدارة الفرنسية عملت على مضايقتهم ضريبيا، فإذا كانت أحكام مرسوم الماريشال "فالي" المشار إليه سابقا تنص صراحة على أن رؤساء الأهالي يحتفظون بثلث الضريبة ويسلمون الثلثين الباقيين إلى

الخزينة الفرنسية، فإن الفرنسيين سرعان ما تخلوا عن هذه القاعدة وأعادوا النظر فيها، وقاموا بتخفيض نصيب الرئيس الأهلي إلى عشر الضريبة[16].

ومن صور المضايقات الأخرى أيضا أن الفرنسيين اتهموا رؤساء العائلات الكبرى بالتقصير في أداء المهام الموكلة لهم. من ذلك مثلا أن رئيس القطاع العسكري القسنطيني اتهم صراحة القايد بورنان بن عز الدين زعيم عائلة أولاد عز الدين بالتقصير في أداء المهام التي كلف بها في مجال حفظ الأمن والنظام العام على مستوى قيادته عام 1858م، لأنه لم يتخذ كل الإجراءات الضرورية لمنع وقوع الاضطرابات على مستوى قيادته[17]. كما اتهم القايد محمد الصالح الرزقي زعيم عائلة الرزقي بتحريض قبيلة أولاد مسعود المقيمة على الحدود الشمالية الشرقية للجزائر بالإغارة على قبيلة وشتاتة التونسية. وتبعا لذلك تلقى هذا القايد توبيخا من قبل السلطات الفرنسية، وهذا بعد احتجاج كاهية الكاف التونسي على ذلك[18].

واتهم الفرنسيون كذلك الخليفة أحمد المقراني زعيم عائلة المقراني عام 1847م بتقصيره وعدم اهتمامه بقبائل منطقة الونوغة[19]، كما اتهموه أيضا بالتواطؤ مع الثائر بوبغلة الذي أعلن الثورة ببلاد الزواوة ضد الفرنسيين (1851م–1854م)[20]، ووجهت له كذلك تهمة تأييده لثورة سكان الزواغة و فرجيوة في مارس 1864م، وزعيمها أحمد بوعكاز لذلك وجه له الجنرال « ديفو » توبيخا شديد اللهجة[21].

أما عائلة بوعكاز بن عاشور بفرجيوة، فقد اتهم شيخها أحمد بوعكاز أيضا بذات التهم التي وجهت إلى زعماء العائلات الأخرى منها تجاوز الصلاحيات الموكلة له وإقدامه على تعيين وعزل شيوخ بني فوغال دون أخذ رأي الإدارة الفرنسية[22]، وقالوا عنه أيضا إنه كان يؤيد ثورات البابور التي عصفت بالمنطقة خلال خمسينيات القرن 19م[23].

ولم تسلم عائلتا ابن قانة وبوعكاز الذواودة بالجنوب القسنطيني كذلك من هذه التهم رغم تأييدهما المطلق للسياسة الاستعمارية، فعندما اندلعت ثورة الزعاطشة عام 1849م، قال الفرنسيون إن عائلة ابن قانة كانت غائبة عن مسرح الأحداث ولم تساند الفرنسيين في محاربتهم لثوار هذه الواحة[24]. وبالموازاة مع ذلك أوصى أحد ضباط المكاتب العربية بالعمل على إبعاد عائلة بوعكاز الذواودة من منطقة حكمها بسبب إزعاجها المستمر للفرنسيين[25].

وفي إطار التضييق على هذه العائلات، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا يقضي بإلغاء امتياز الحق في استعمال السخرة لتنفيذ بعض الأشغال الكبرى الخاصة بهذه العائلات، وقد طبق هذا الإجراء على عائلة المقراني عام 1863م، حينما ألزم الباشاغا محمد المقراني بالتخلي عن نظام التويزة حيث يقوم السكان التابعون لقيادته بخدمة هذه العائلة في مناسبات عديدة يمارسون فيها أشغال الحرث والحصاد والنقل والبناء والري ونحو ذلك[26].

وفي 1863/04/22م، أصدرت الإدارة الفرنسية القانون المشيخي «Le Senatus Consulte» الذي اعتبر أن الأرض المشاعة التي تستغلها القبائل الجزائرية بصفة مستمرة منذ أمد طويل تعد ملكا قارا و رسميا لها[27]، وهذا يعني أنه كان يهدف إلى تهديم نظام القبيلة والعرش من خلال تنصيصه على إنشاء الدوار والبلدية[28]. ويترتب عن ذلك بداهة أنه كان يستهدف سلطة هذه العائلات والتخلي عن خدماتهم في مجال تحصيل المجابي والعدالة والسلطة الإدارية[29].

هذه هي إذن أهم الإجراءات التي باشرتها الإدارة الفرنسية للحد من صلاحيات العائلات الكبرى ولجم طموحاتهم. ويمكن أن يضاف إليها أسلوب آخر يعد أكثر الأساليب وحشية، يتمثل في القتل والتصفية الجسدية لكل زعيم أهلي يشك الفرنسيون في ولائه، حيث أن ثمة زعماء أهليين قتلوا في ظروف غامضة وادعت الإدارة الفرنسية أنهم قتلوا من قبل أفراد أسرهم الذين دسوا لهم السم! ويورد المؤرخون عدة أمثلة عن ذلك، فقد اختفى عدة زعماء على هذا النحو مثل عبد الرحمان بن جلاب عام 1852م وقيل أنه قتل من قبل ابن عمه سلمان بن جلاب، وكذلك محمد بن عز الدين زعيم عائلة أولاد عز الدين بالزواغة الذي مات مسموما عام 1854م لا، وقيل إن أخاه بورنان هو الذي خانه ودس له السم في الطعام، وصفي الشيخ مسعود، شيخ قبيلة ريغة عام 1857م بالطريقة نفسها، وكذلك زعيم عائلة أولاد سيدي الشيخ سي حمزة الذي قضى نحبه عام 1861م في ظروف غامضة، والذي خلفه ابنه سي بوبكر الذي قتل أيضا مسموما عام 1862م[30].

والواقع أن هذه السياسة الخرقاء التي انتهجها الفرنسيون ضد زعماء العائلات الكبرى، كانت لها ردود أفعال عنيفة من جانب هذه العائلات. وتجسد ذلك في الثورات التي أعلنتها معظم هذه العائلات في وجه الإدارة الفرنسية. وفي هذا المنظور ثار سلمان بن جلاب زعيم عائلة ابن جلاب ضد السلطة الفرنسية عام 1852م، وأحكم قبضته على مدينة تقرت وقام بتحصينها معلنا نفسه سلطانا[31]. وحتى يعزز مركزه العسكري والأدبي، حاول كسب ود باي تونس الذي راسله و طلب منه يدا لمساعدة[32].

وفي 1864/03/18م اندلعت ثورة الزواغة وفرجيوة، وانضمت إليها عائلة أولاد عز الدين، فقام الفرنسيون بتوقيف كافة أفرادها كما قاموا بتوقيف الشيخ أحمد بوعكاز كبير عائلة بوعكاز بن عاشور بفرجيوة[33].

وفي مطلع عام 1871م اندلعت ثورة الصبايحية* بالشرق الجزائري، نتيجة رفض أفراد هذه الفرقة الامتثال لأوامر تسفيرهم إلى فرنسا للمشاركة في الحرب ضد بروسيا[34].

وقد وجد الغاضبون والقانطون من السلطات الاستعمارية فرصتهم الذهبية للانضمام إليها، ومن هؤلاء الناقمين وجهاء عائلة الرزقي وعلى رأسهم محمد الكبلوتي الذي أعلن الثورة واشتبك مع الجيش الفرنسي في منطقة عين سنور بضواحي سوق أهراس يوم 1871/11/30، وفقد ستة عناصر من فرقته[35].

وفي 1871/03/15 قطع الباشاغا محمد المقراني زعيم عائلة المقراني كل علاقاته مع السلطات الفرنسية، وقرر إعلان الثورة في وجه الفرنسيين[36].

والحقيقة أن هذه الثورات لم تتمكن من تحقيق الأهداف التي أعلنت لأجلها، حيث تمكن الفرنسيون من إجهاضها، بعدما انتقموا من السكان الذين انتصروا لثوراتهم، حيث صادروا ممتلكاتهم، وفرضوا عليهم الغرامات والضرائب وأحالوهم على القضاء العسكري الذي أصدر ضدهم أحكاما جائرة شملت السجن والأعمال الشاقة والنفي إلى المناطق البعيدة خارج الوطن، وهاجر بعضهم إلى البلاد التونسية.

II- نماذج عن هجرة العائلات الكبرى إلى البلاد التونسية:

هاجر العديد من أفراد العائلات الكبرى إلى البلاد التونسية رفقة جماعات أخرى من السكان، وذلك هروبا من المضايقات الفرنسية التي طالتهم بعد انكسار ثوراتهم. وفي ما يلي نبسط الحديث عن ثلاث عائلات كبرى.

1- عائلة ابن جلاب

هاجرت عائلة ابن جلاب إلى البلاد التونسية بعد انكسار ثورة زعيمها سلمان بن جلاب عام 1854م، وعلى إثر استقرارها هناك شرع وجهاؤها وعلى رأسهم سلمان بن جلاب في كتابة الرسائل إلى الرسميين التونسيين يستعطفهم فيها السماح له ولعائلته وخدمه ومقربيه بالاستقرار في البلاد التونسية، حيث كتب رسالة إلى محمد باي تونس وهنأه على تقلده ولاية العهد(37)، كما حاول سلمان بن جلاب استغلال العاطفة الدينية لبايات تونس حتى يشملوه بالرعاية اللازمة، إذ كتب رسالة إلى الصادق باي عام 1859م قال له فيها: "... عار على الملوك أن يخلوا بملوكهم وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم ارحموا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين الجهال..." (38).

وفي تلك الأثناء فكر سلمان بن جلاب في شراء منزل بتونس، غير أنه لم يكن له المال الكافي لشرائه، وعليه راسل الوزير التونسي مصطفى خزندار لمده بإعانة مالية تمكنه من تغطية الجزء المتبقي من سعر ذلك المنزل(39).

من المتصور أن سلمان بن جلاب كان ينوي الاستقرار بصفة نهائية بالبلاد التونسية، لأن المهاجر إلى بلد أجنبي هجرة مؤقتة عادة ما نجده لا يقدم على شراء المنازل والعقارات، وما يعزز هذا الرأي أنه كان يتواصل أيضا مع الفرنسيين بالجزائر، ويلتمس منهم العفو عن المزالق التي ارتكبها و يطلب منهم تجديد العلاقات معهم، وتمكين عشرات النساء من عائلته و أقاربه و خدمه رفقة أولادهم من السفر إلى البلاد التونسية قصد الالتحاق بعائلاتهم وأزواجهم(40).

رغم كثرة الرسائل التي وجهها سلمان بن جلاب إلى المسؤولين الفرنسيين بالجزائر، إلا أنهم لم يتجشموا عناء الرد عليها، وحتى وإن ردوا، فإن إجاباتهم لم تكن تتناغم مع مطالبهم، وكانت كلها بالرفض وفي أحسن الأحوال بالتسويف. وقد حاول رئيس القطاع العسكري القسنطيني تبرير هذا الموقف "غير الإنساني" في إحدى برقياته بكون النساء اللائي طلب سلمان بن جلاب تمكينهن من السفر إلى البلاد التونسية معظمهن طلقن من أزواجهن، بينما النساء غير المتزوجات يفضلن البقاء بالجزائر ويرفضن السفر إلى البلاد التونسية، وأكثر من هذا كله أن سلمان بن جلاب كان سيء السمعة في وسطه العائلي لذلك فالكل يرفض الالتحاق به هناك، فالناس في تقرت ومنطقتها لم ينسوا الجرائم التي ارتكبها، وهي جرائم بشعة وقعت على الأموال والأشخاص وما زالت محفوظة في الذاكرة الجماعية للسكان(41).

ويبدو أن بعض أفراد هذه العائلة تعرضوا لمضايقات في بلد الاستقبال تونس، حيث اشتكى بعضهم من اعتداءات طالتهم من قبل سلطات بلدة توزر التي صادرت ممتلكاتهم(42).

وكتب المسمى محمد بن جلاب، وهو كذلك أحد أعيان هذه العائلة رسالة إلى عبد الله السوداني مفتي هذه البلدة يلتمس فيها تدخله لدفع المظلمة التي تعرض لها ومساعدته على استرجاع ممتلكات عائلته المصادرة(43)، ومهما يكن من أمر، فإن الفرنسيين بقوا مصممين على موقفهم الثابت من عائلة ابن جلاب المهاجرة إلى البلاد التونسية، حيث رفضوا التصالح مع زعيمها، كما رفضوا كل طلباته لأنهم كانوا يعرفون طموحه جيدا ويبدو أن الطلبات التي وجهها أفراد هذه العائلة إلى المسؤولين بتونس لقيت استجابة منهم كما سنعرف لاحقا.

2- عائلة أولاد عز الدين:

بعد انتهاء ثورة الزواغة وفرجيوة عام 1864م، هاجر معظم أفراد عائلة أولاد عز الدين إلى البلاد التونسية. يضاف إلى هذا أن أعيان هذه العائلة الذين سلطت ضدهم عقوبة النفي إلى جزيرة كورسيكا بذلوا قصارى جهودهم من أجل العودة إلى تونس. وهكذا دخل الحاج بن عز الدين هذا البلد يوم 1865/12/22م قادما من ميناء مدينة مرسيليا الفرنسية(44).

وعلى إثر وصوله هناك قدم طلبا للسماح له بدخول الجزائر، غير أن القنصل الفرنسي المعتمد بتونس اعترض على ذلك، حيث رأى أن عودته إلى الجزائر يمكن أن تنجر عنها مخاطر كبيرة تهدد الأمن الفرنسي هناك(45).

وفي تلك الأثناء تقاطر أفراد هذه العائلة على البلاد التونسية سواء من الجزائر، أو من المناطق التي نفوا إليها وخاصة مدينة "كورتي" بكورسيكا. وإذا كان الفرنسيون قد أبدوا موافقتهم على تنقل أفراد هذه العائلة المنفيين إلى البلاد التونسية، وكذلك غضوا الطرف عن هجرة الذين بقوا بالجزائر وتنقلوا إلى تونس، فلأنهم درسوا وخبروا جيدا هذه المسألة وتوصلوا إلى حقيقة مؤداها أنه من الملائم جلب الساخطين على الوجود الاستعماري إلى تونس هذا البلد المجاور والقريب حتى تتم مراقبتهم على أحسن وجه بواسطة الدوائر الرسمية الفرنسية المعتمدة بتونس وعلى رأسها المصالح القنصلية، وهذا ما أشار إليه قنصلهم العام حينما كتب تقريرا إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر حدثه فيه حول هذا الموضوع مؤكدا له بأنه بذل قصارى جهده لرصد وتتبع أخبار هذه العائلة التي نزحت إلى هذه البلاد منذ عام 1864م(46).

3- عائلة المقراني:

بعد قضاء الفرنسيين على ثورة المقرانيين عام 1871م، هاجر عدد كبير منهم إلى البلاد التونسية، وقدر عددهم بنحو خمسة مائة (500) مهاجر(47). وأشار تقرير فرنسي إلى أن بداية نزوح المقرانيين إلى البلاد التونسية لم يكن بعد انطفاء شعلة ثورتهم، وإنما كان في خضم أحداثها، ذلك أن المقرانيين لم ينتظروا نهايتها ثم مغادرة الجزائر و التوجه إلى البلاد التونسية(48).

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن عائلة المقراني كانت أكبر عائلة جزائرية نزحت إلى البلاد التونسية خلال القرن 19م.

بهذا يتراءى لنا أن هجرة جل أفراد العائلات المهاجرة إلى البلاد التونسية كانت هجرة شبه إجبارية لأن هذا الخيار كان مفروضا عليهم فرضا، حيث كانوا يواجهون ضغوطات كبيرة من جانب الإدارة الفرنسية وأعوانها بالجزائر. والسؤال الذي يطرح في هذا السياق، هل وجدت هذه العائلات الظروف الملائمة للعيش في بلد الاستقبال تونس أم أن أوضاعها تدهورت نحو الأسوأ، خاصة وأن المستعمر الفرنسي الذي فروا من بطشه ومضايقاته كان قد فرض نظام الحماية الاستعمارية على البلاد التونسية عام 1881م؟

III- تدهور الأوضاع الاجتماعية للعائلات المهاجرة:

تدهورت الأحوال المادية والاجتماعية للعائلات التي هاجرت إلى البلاد التونسية. وفي ما يلي سنوضح ذلك بشيء من التفصيل.

1- تدهور وضعية عائلة ابن جلاب:

ساءت الأحوال الاجتماعية لعائلة ابن جلاب التي استقرت بالبلاد التونسية بعد انكسار ثورة زعيمها سلمان بن جلاب، كما يظهر من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى السلطات التونسية مثل الرسالة التي كتبها إلى الوزير التونسي مصطفى خزندار عام 1854م، والتي شكا له فيها حاله ووضعه المالي غير المريح ملتمسا منه يد المساعدة[49]. ويفهم من رسالة أخرى بعثها سلمان بن جلاب إلى محمد الصادق باي عام 1866م أن السلطات التونسية أخذت مطلبه على محمل الجد وخصصت له إعانة مالية قدرها 500 ريال شهريا، غير أنها لم تكن كافية، لذلك ناشد الباي بالتدخل العاجل قائلا له في آخر هذه الرسالة: "...وأعلمتك بما جر علينا (كذا) اعمل لنا تويل (كذا) راني ضعت بالشر (كذا) ... متوكل على الله ثم عليك ..." [50].

ويبدو أن المتاعب المالية بقيت تلازم هذه العائلة لذلك كان زعيمها يراسل الرسميين التونسيين باستمرار، فتجاوب معه الوزير خير الدين ووجه أمرا إلى المصالح المختصة ينصرف إلى تسوية الوضعية المالية لسلمان بن جلاب وعائلته، حيث كتب على ذيل الرسالة التي وجهها له سلمان بن جلاب العبارة الآتية: "يطلب تذاكر المرتب السابق عن أكتوبر عام 1286 هـ من الكمسيون المالي، وأما مرتبه المذكور فإنه يطلبه من مصلحة الدخل"[51].

واجهت إذن عائلة ابن جلاب متاعب مالية كبيرة وهذا ما يفسر كثرة رسائل زعيمها سلمان بن جلاب الذي كان يكتبها إلى رجال السلطة التونسية محاولا استعطافهم، وقد حاول الرسميون في تونس الاستجابة لنداءاته من خلال منحه مساعدة مالية شهرية.

2- تدهور وضعية عائلة أولاد عز الدين:

تدهورت الحالة الاجتماعية والمادية لعائلة أولاد عز الدين المستقرة بالبلاد التونسية، ويمكن أن نستنتج ذلك من خلال الرسائل التي كان أعيانها يوجهونها إلى رجال السلطة الفرنسية سواء في تونس أو في الجزائر، أو حتى في فرنسا، مثل الرسالة التي كتبها الحاج بن عز الدين إلى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث* عام 1869م بعدما سمح له بالسفر إلى العاصمة الفرنسية باريس، وهناك طلب مقابلته ليشكو له حاله البائس وضنك عيشه، ليطلب منه بعد ذلك مساعدة مالية مذكرا إياه بأنه كان صديقا للفرنسيين وخدمهم بإخلاص وترجم إرادتهم على مستوى العرش الذي كان يتولى شؤونه كقايد لمدة ثماني سنوات كاملة[52].

تترجم لنا بحق هذه الرسالة الوضعية المزرية التي آلت إليها عائلة أولاد عز الدين وزعيمها الحاج بن عز الدين، والثابت أن هذا التدهور كان قد مس كل أفراد هذه العائلة سواء الذين بقوا بالجزائر أو الذين هاجروا إلى البلاد التونسية.

3- تدهور وضعية عائلة المقراني:

بعد استقرار المقرانيين بالبلاد التونسية، ساءت أحوالهم الاجتماعية كذلك شأنهم في ذلك شأن العائلات الأخرى. ولما كانت هذه العائلة و– خاصة فرع أولاد عبد السلام– تربطها علاقات متميزة مع الأمير عبد القادر خلال فترة مقاومته، فقد كان يتتبع أخبارهم من سوريا ويستوصي خيرا بهم رجال السلطة في تونس ملحا عليهم أن يشملوهم "... بلحظة تخلصهم من غوائل الدهر وتنقذهم من شرك الكدر والقهر..."[53]. ولم يكتف الأمير عبد القادر بذلك فحسب، بل أنه بذل قصارى جهده من أجل إسعاف المقرانيين، فساعد بعضهم على السفر إلى القسطنطينية لتخليصهم من ضنك العيش، حيث قدم يد المساعدة إلى محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني

نجل خليفته السابق، و رتب له كل إجراءات السفر إلى دمشق، وتوسط له لدى سلطات الدولة العثمانية التي دعته إلى الإقامة في القسطنطينية بأمر من السلطان العثماني عبد العزيز الذي خصص له منحة استمر العمل بها إلى غاية عام 1883م تاريخ وفاة الأمير عبد القادر، الأمر الذي أجبره على العودة إلى تونس(54).

ويبدو أن أوضاع المقرانيين الاجتماعية ازدادت سوء بعد انتصاب الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م، وهذا ما يمكن استنتاجه من الرسالة التي كتبها الأمير الهاشمي نجل الأمير عبد القادر إلى رجال السلطة الفرنسية بتونس عام 1888م عندما طلب منهم تقديم يد المساعدة لكل أفراد عائلة المقراني واصفا إياهم بالفقراء والأيتام(55). وبالموازاة مع ذلك كان المقرانيون يناشدون الفرنسيين، ويطلبون منهم المساعدة، حيث كتب زعيمهم محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني رسالة إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي، أكد له فيها أنه يعيش رفقة أفراد أسرته الكثيرة العدد ظروفا قاسية لأنه فقير لا مال له، ولا مصدر رزق له باستثناء الصدقات التي كان يتحصل عليها من المحسنين، لذلك التمس من الوزير الفرنسي مساعدته على تجاوز هذه المحنة، محاولا في الوقت نفسه الاعتذار له عما صدر عن عائلته عام 1871م، حينما حملت السلاح ضد فرنسا بالجزائر مشيرا إلى أنها نالت جزاءها بعد انكسار ثورتها(56). وعلى إثر ذلك باشرت مصالح الإقامة العامة الفرنسية بتونس تحقيقا معمقا حول الوضع الاجتماعي لهذه العائلة وأكدت نتائجه صحة أقوال المقرانين، وأشارت أيضا إلى عدم إمكانية قيام كبير هذه العائلة بأعمال عدوانية ضد المصالح الفرنسية(57).

وقد تطابقت نتائج هذا التحقيق كذلك مع التحقيق الذي قام به محمد العصفور شيخ المدينة حول الحالة الاجتماعية لمحمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني وعائلته، بناء على طلب السلطة الفرنسية، حيث أكد فيه: "... أنه بحث عن المذكور وتبين أنه يسكن بالحجامين بباب الجزيرة، وله من العمر تقريبا 80 أعوام (كذا)، وهو فقير عاجز لا يتعاطى شيئا من الحرف وله أبناء ثلاثة..."(58).

وفي تلك الأثناء كان المقرانيون أيضا على اتصال مع رجال السلطة الفرنسية بالجزائر، و كانوا يلتمسون منهم بعض المساعدات المالية، غير أنهم لم يتجاوبوا مع التماساتهم(59).

ورغم ذلك بقوا مصممين على مطالبهم، والدليل على ذلك كثرة عرائضهم المطلبية ورسائلهم الموجهة للرسميين الفرنسيين، مثل الرسالة التي وجهها كبيرهم محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني إلى المقيم العام بتونس عام 1896م، والتي شكا فيها الحالة المادية الأليمة التي تمر بها أسرته التي تتشكل من سبعة عشر فردا، وقد التمس منه التدخل لمساعدته(60). وكذلك الرسالة الأخرى التي وجهها له عام 1900م، والتي طلب من خلالها يد المساعدة كذلك، وفي الوقت نفسه ذكره بالخدمات الجليلة التي قدمتها عائلته للفرنسيين بالجزائر قبل عام 1871، و أشار كذلك إلى قانون العفو الذي استفاد منه الثوار(61).

ونفهم من إحدى الرسائل التي وجهها أحد المقرانيين إلى المقيم العام بتونس عام 1901م، أن عائلة المقراني أو على الأقل البعض من أفرادها ضاقت بهم أرض تونس بما رحبت، حيث قام المدعو بوزيد المقراني بتوجيه طلب إلى مصالح المقيم العام الفرنسي بتونس ترجاه فيه السماح له بالعودة إلى مسقط رأسه بمدينة بوسعادة بالجزائر رفقة زوجته وابنتيه لأنه لم يكن له مصدر رزق هناك، ولم يتمكن من الحصول على عمل(62).

ويتضح لنا من خلال الرسائل العديدة واللوائح المطلبية الأخرى المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي التي وجهها أحفاد عائلة المقراني إلى المسؤولين الفرنسيين بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين أن وضعهم

الاجتماعي لم يتغير نحو الأحسن، بل أن معظمهم بقي يعيش حياة الإملاق، من ذلك مثلا الرسالة التي وجهها المدعو مختار بن عبد المجيد المقراني أحد أحفاد وجهاء عائلة المقراني بناحية سطيف إلى أحد المسؤولين الفرنسيين الكبار بتونس، والتي ناشد فيها السلطات الفرنسية أن تنعم عليه بمنصب عمل كقابض بجمعية الحابوس لأنه يحوز على مؤهلات شغل هذا المنصب، وعلى رأسها إتقانه للغة الفرنسية كتابة ونطقا، وحدثهم فيها عن تكفله بإخوانه وأخواته السبعة بعد وفاة والده، مؤكدا لهم أنه في حاجة ماسة إلى عمل لأن الحالة الاجتماعية لعائلته ساءت بعد انخراط شقيقه في الفرقة الرابعة للرماة عام 1910م، و نقله إلى المغرب الأقصى عام 1913م، ثم إرساله للمشاركة في الحرب العالمية الأولى (1914م–1918م) إلى جانب الجيوش الفرنسية[63].

بهذا نستنتج من خلال ما تقدم أن الوضعية الاجتماعية لهذه العائلات كانت قد تقهقرت كثيرا رغم محاولات السلطات التونسية مساعدتهم على تجاوز المحنة التي لحقت بهم جراء السياسة الكولونيالية الخرقاء، وأن الفرنسيين لم تكن لهم النية الحسنة في مساعدتهم رغم محاولة البعض منهم استنكار وشجب ما قام به آباؤهم.

خاتمـــة

في ختام هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

– كان الفرنسيون يخططون للتوسط بنفوذ العائلات الكبرى لإحكام سيطرتهم على الجزائر، وخاصة في المناطق التي استعصى عليهم الوصول إليها، وفي الوقت نفسه محاولة ضرب المقاومة الوطنية وتشتيتها. وبمجرد أنهم شعروا بقدرتهم على التحكم في الأوضاع والسيطرة عليها شرعوا في مضايقتهم، الأمر الذي دفع ببعضهم إلى الثورة ومقاومة سياستهم، فتعاملت الإدارة الفرنسية معهم بوحشية، ونتيجة لذلك هاجر البعض منهم إلى البلاد التونسية.

– لقد هاجرت هذه العائلات رفقة أعداد هائلة من الجزائريين إلى البلاد التونسية خاصة منذ منتصف القرن 19م، ويبدو أن الفرنسيين كانوا يغضون النظر عن هذه الهجرة، بل أنهم كانوا يشجعونها أحيانا لأن مصلحتهم كانت تقتضي ذلك، لأن المهاجرين كانوا في نظرهم متعصبين وميالين للفوضى وارتكاب المظالم، كما أن الأراضي التي يتركونها يتم الاستيلاء عليها وفقا لتشريعات جائرة سنها الفرنسيون، ليتم توزيعها على المستوطنين الذين تقاطروا على الجزائر بأعداد هائلة في تلك الفترة.

– فضلت هذه العائلات الهجرة إلى البلاد التونسية ليس فقط بسبب قربها الجغرافي من الجزائر، وإنما أيضا أن الجزائر كانت في نظر سكانها كما في نظر سائر بلاد المسلمين قد تحولت حينئذ إلى "دار حرب" أو "دار كفر" لأنها اغتصبت من قبل الكافر، في حين كانت البلاد التونسية "دار سلم" أو "دار الإسلام"، وفقا للتمثلات الدينية لتلك الحقبة التاريخية.

– كان موقف بايات تونس من العائلات المهاجرة موقفا إنسانيا رصينا ومتوازنا أملته مبادئ القيم الإسلامية والإنسانية التي تقضي بإغاثة واستضافة وحماية اللاجئين لاسيما إذا كانوا مسلمين، فحاولوا قدر المستطاع إسعافهم ومساعدتهم رغم الظروف الاستثنائية التي كانت تمر بها بلادهم جراء التهديدات الفرنسية، والتي انتهت بفرض الحماية الاستعمارية على بلادهم عام 1881م.

– تدهورت الأحوال المادية والاجتماعية للعائلات التي هاجرت إلى البلاد التونسية، رغم المحاولات المتكررة للسلطات التونسية إكرامهم وإسعافهم. والثابت أن هذا التدهور يعود بالأساس إلى السياسة الاستعمارية

الخرقاء وما ترتب عنها من نهب ومصادرة كل ما ملكت أيادي هذه العائلات، فارتحلوا من بلادهم هروبا من واقع مرير فرض عليهم ظلما وعدوانا.

الهوامش

1- لوسانت فلنزي، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار سراس للنشر، تونس، 1994، ص 50.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1992، ص 326 – 327.

3- Ernest Mercier L'Algérie en 1880, le cinquantenaire de L'Algérie, challamel ainé éditeur, Paris, France, 1880, p 5.

4- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ – العهد العثماني – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 108 – 109.

* هو سيلفان شارل فالي (1773م – 1846م)، انخرط في صفوف الجيش الفرنسي عام 1792م كطالب ضابط في مدرسة المدفعية التي تخرج منها برتبة ملازم عام 1793م. بعد ذلك تمت ترقيته إلى رتبة نقيب عام 1795م، ثم مقدما عام 1804م، فعميدا عام 1807م، ثم جنرال فرقة عام 1809م، فجنرال قسمة عام 1811م، و مفتش عام للمشاة عام 1822م. وفي 1830/09/08م أحيل على الاستيداع، غير أنه استدعي مجددا للعمل في الجيش الفرنسي عام 1834م، وتقلد عصا الماريشالية في 1837/11/11م. ونظرا للكفاءة العالية التي كان يتميز بها عين حاكما عاما للجزائر في 1837/12/01م، وبقي يشغل هذا المنصب إلى غاية عودته إلى فرنسا في 1841/01/20م، قضى نحبه يوم 1846/08/15م.

للمزيد من التفاصيل حول المسار المهني لهذا الماريشال ينظر:

- Georges Yver: Correspondance du Maréchal Valée, Tome I (Octobre 1837-Mai 1838), Éditions La Rose, Paris, France, 1949, voir L'introduction.

5- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix – en – Provence, France: 01H04, Proclamation Valée 1838.

6- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix – en – Provence, France : F80. 1672, Rapport du Maréchal Valée gouverneur général des Possessions Françaises dans le Nord de L'Afrique, adressé au Ministre de la guerre, le 04 octobre 1838.

7- Louis Rinn, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Paris, France, 1891, p 22- 23.

8- Charles- André Julien, Histoire de L'Algérie contemporaine. La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871) éditions casbah, Alger, Algérie, 2005, p 148.

9- Roger Germain, La politique indigène de Bugeaud, Editions La Rose, Paris, France, 1955, p 6.

10- Institut supérieur d'histoire du Mouvement National (Tunisie) : Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, série 25H16, Bobine A22: État général par tribu des tentes algériennes établies sur le territoire Tunisien, Années 1853-1859, Folios 149, 150.

11- Luciani, «Chansons kabyles» in Revue Africaine, n° 43, Année 1899, p 149.

12- Jacques Jurquet, la Révolution Nationale Algérienne et le Parti Communiste français, Tome I, Éditions du centenaire, Paris, France, 1973, p 92.

13- Louis Rinn, op.cit, p 23.

14- A .Martel, « A propos du Sahara de Constantine (1830-1880): Rivalités de coffs et interprétations de documents », in Revue Maghreb et Sahara, Paris, France, 1973, p 279- 280.

15- Tayeb Chentouf, L'Algérie en 1954. Documents d'Archives, O.P.U, Alger, Algérie, 2006, p 165- 166.

16- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 10 KK32, Rapport du 16 Mars 1857.

17- Institut Supérieur d'histoire du Mouvement National (Tunisie): Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, série Tunisie 25H, carton 25H 16 (2), Bobine A 22 : Dossier n° 2, Rapport du général de division, commandant de la province au Ministre de L'Algérie et ses colonies le 25/10/1858, Folios 240, 241.

18- Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunisie): Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, série Tunisie 25H, carton 25H 10 Dossier n°1, Bobine A11: Traduction d'un extrait de la lettre du kahia du kef au Bey en date du 4 Radjab 1268H (24/04/1862), Folio 24.
19- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 40 KK 5, Rapport du 18/03/1847, n° 726.
20- Ernest Mercier, le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection indigène de 1871, imp.5. laffray, Paris, France, sans date, p 15.
21- Louis Rinn, op. cit, p 38.
22- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: F80. 504, cercle de Djedjeli: Rapport du mois de Juillet 1855.
23- Centre des Archives d'outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 6H34, Rapport du gouverneur général au ministre de la guerre, expédié d'Alger le 17/05/1856.
24- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 2H25, Rapport du 21/05/1849.
25- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 10H30, Rapport du 04 janvier 1852, n°5.
26- Louis Rinn, op.cit, p 37.
27- M.Pouyanne, La Propriété Foncière en Algérie, Thèse de doctorat, librairie de jurisprudence ancienne et moderne, Paris, France, 1895, p 217.
28- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ا لجزائرية 1860–1900، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 119.
29- Charles-Robert Ageron : les Algériens Musulmans et la France 1871-1919, Présentation de Gilbert Mynier, Éditons Bouchene, France, 2005, p 132.
30- حول هذا الموضوع ينظر:
- Colonel Trumelet : « Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger de 1864 à 1869 », in Revue Africaine n° 26, année 1882, p 358.
- Annie Rey – Goldzeiguer : Le Royaume Arabe, La politique Algérienne de Napoléon III 1861-1870, E.N.A.G Éditions, Alger, Algérie, 2010, p 173.
31- L.ch.Féraud, «les Ben-Djellab sultans de Touggourt. Notes Historiques sur la province de Constantine», in Revue Africaine n° 25, année 1881, p 198.
32- Institut supérieur d'histoire du Mouvement National (Tunisie): Archives du Ministère des Affaires Extérieurs (France), série Correspondance Politique, Dossier n°1, carton 13, Bobine n° 291: Lettre du général de division de la province de Constantine à Mr le consul général de France à Tunis, datée le 07/05/1853, folio 211.
33- Charles-Robert Ageron, L'Algérie Algérienne de Napoléon III à de Gaule, Éditions Sindbad, Paris, France, 1980, p 56-57.

* الصبايحية «Spahis» هي فرقة عسكرية تتشكل من عناصر جزائرية فضلت التعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي مقابل الحصول على بعض المكاسب والامتيازات التي تمنحها لهم إدارة الاحتلال. وقد تم تأسيس هذه الفرقة بمقتضى الأمر الملكي الصادر في 07 ديسمبر 1841م، الذي ادمجها في الجيش النظامي الفرنسي الذي كان يعرف بالجيش الإفريقي L'Armée d'Afrique. وتتمثل المهمة الأساسية لهذه الفرقة في مساعدة الجيش الفرنسي على فرض السيطرة الاستعمارية على البلاد، وقمع الحركات الثورية التي تندلع في وجه السلطة الفرنسية، والتكفل كذلك بجباية الضرائب التي فرضها المستعمر الفرنسي على السكان ظلما وعدوانا.

حول هذا الموضوع ينظر:
- Colonel Yves Jouin: « Gloire des Spahis», in Historia Magazine, n° 203, Éditions Jules Tallandier, Paris, France, 1971, p 315-320.
34- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence: 2H60, Rapport du Commandant Supérieur du Cercle de la Calle, le 27/01/1871.
35- Louis Rinn: op.cit, p 126.
36- Charles-Robert Ageron: Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919, Tome premier, op.cit, p 6.
37- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، رسالة سلمان بن جلاب إلى محمد باي تونس، وهي غير مؤرخة، وثيقة رقم 28.

38- المصدر نفسه، رسالة سلمان بن جلاب إلى الصادق باي في 16 ربيع الثاني 1276 هـ (1859م) ، وثيقة رقم 19، ينظر الملحق رقم1.

39- المصدر نفسه، رسالة سلمان بن جلاب إلى الوزير مصطفى خزندار، وهي غير مؤرخة، وثيقة رقم 27.

40- Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunisie): Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, série Tunisie 25H, carton 25H2, Dossier n° 1 Bobine A2: Rapport du commandant de division de Constantine à Mr le commandant supérieur des forces de terre et de mer à Alger, daté le 25/06/1860, Folio 7.

41- Ibid: Rapport du commandant de division de Constantine à Mr le commandant supérieur des forces de terre et de mer à Alger, daté le 17/07/1860, Folio 6.

42- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، رسالة سلمان بن جلاب إلى محمد باي في 17 صفر 1272 هـ (1855م)، وثيقة رقم 31.

43- المصدر نفسه، رسالة محمد بن جلاب إلى عبد الله السوداني في 28 ربيع الثاني 1272 هـ (1856م)، وثيقة رقم 16.

44- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France: 2H19, Lettre du quartier général à Bastia à Mr le gouverneur général de L'Algérie, adressée le 05/12/1865, n°162.

45- Ibid, Lettre du Consul Général de France à Tunis au gouverneur général de L'Algérie, datée le 20/01/1866, n° 173.

46- Ibid, Lettre du Consul Général de France à Tunis à Mr le gouverneur général de L'Algérie à ALger, le 02/12/1866,

47- Seddik Taouti, Les Déportés Algériens en Nouvelle Calédonie. Histoire d'une identité exilée, Dar el Ouma, 2ème édition, Alger, Algérie, 2006, p 78.

48- Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunisie): Archives d'Outre-mer, série 25H, n° 25H 18, Dossier n°5, Bobine A26 : Lettre du consul général de France à Tunis à Mr le gouverneur général civil de L'Algérie à Alger, Le 24 Novembre 1871, Folio 191.

49- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930: رسالة سلمان بن علي بن جلاب إلى الوزير مصطفى خزندار في 28 شوال 1281 هـ (1864م)، وثيقة رقم 21.

50- المصدر نفسه، رسالة سلمان بن جلاب إلى المشير عبد الله سيدي محمد الصادق باي عام 1283 هـ (1866م) ، وثيقة رقم 23.

51- المصدر نفسه، رسالة سلمان بن جلاب إلى الوزير خير الدين في ربيع الثاني 1287 هـ (1870م)، وثيقة رقم 26.

* هو شارل لويس نابليون بونابرت (1808م - 1873م)، وهو ابن أخ نابليون الأول، كان رئيسا للجمهورية الفرنسية (1848م–1852م)، ثم إمبراطورا لها (1852م – 1870م)، أعلن الحرب ضد بروسيا عام 1870م وهزم فيها، فأزيح من منصبه، واضطر إلى مغادرة التراب الفرنسي لإتمام بقية حياته في إنجلترا.

حول هذه الشخصية ينظر:

- Petit Dictionnaire Français (Dictionnaire des noms propres), Librairie Larousse, Paris, France, 1978, p 729.

52- Centre des Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France : F80. 1861, Dossier Benazzedine: supplique d'el-Hadj Ben azzedine, le 1er Aout 1869, n° 43.

53- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 78، الملف 929: رسالة الأمير عبد القادر إلى الوزير التونسي خزندار، بتاريخ غرة ربيع الثاني 1289هـ (1872/06/08م)، وثيقة رقم 65.

54- Archives Nationale de Tunisie: Série A, Carton 278, Dossier n°6: Renseignements Recueillis sur le nommé Mohamed ben Abdessalem el Mokrani et sur sa famille, le 27 Mai 1888, n°18.

55- Ibid, lettre du Hachmi Fils d'Abdelkader, le 28 Aout 1888, n°27.

56- Ibid, Lettre de Mohamed Ben Ahmed ben Abdessalem el Mokrani de Tunis à Mr le Ministre des Affaires Etrangères à Paris, le 03 Janvier 1890, n°44.

57- Ibid, lettre de la Résidence Général à Tunis à Mr le Ministre des Affaires Étrangères à Paris, sans date, n°46.

58- المصدر نفسه، رسالة محمد العصفور شيخ المدينة إلى وزارة الدولة في 6 محرم 1308هـ (1890م)، وثيقة رقم 47.

59- Ibid, Lettre du gouverneur général de L'Algérie à Mr le Résident Général de France à Tunis, le 17 juillet 1891, n°50. ينظر الملحق رقم 2 .

60- Ibid: Lettre de Mohamed ben Ahmed ben Abdeselam Mokrani à Mr le Résident Général de France à Tunis, Le 11 mai 1896, n°51. ينظر الملحق رقم 3.

61- Ibid, Lettre de Mohamed ben Ahmed ben Abdeselam Mokrani à Mr le Résident Général de France à Tunis le 03 Septembre 1900, n°67. ينظر الملحق رقم 4 .

62- Ibid, Lettre du Résident Général à Tunis au Ministre des Affaires Étrangères à Paris, le 10 septembre 1901, n°107.

63- Ibid, Lettre de Mokhtar ben Abdelmadjid El Mokrani au commandant de la division d'occupation, le 5 Janvier 1915, n°129.

الملاحق:

الملحق رقم 01: رسالة سلمان بن جلاب إلى الصادق باي تونس في 16 ربيع الثاني 1276هـ (1856م) يطلب منه أن يشمله برعايته. (1)

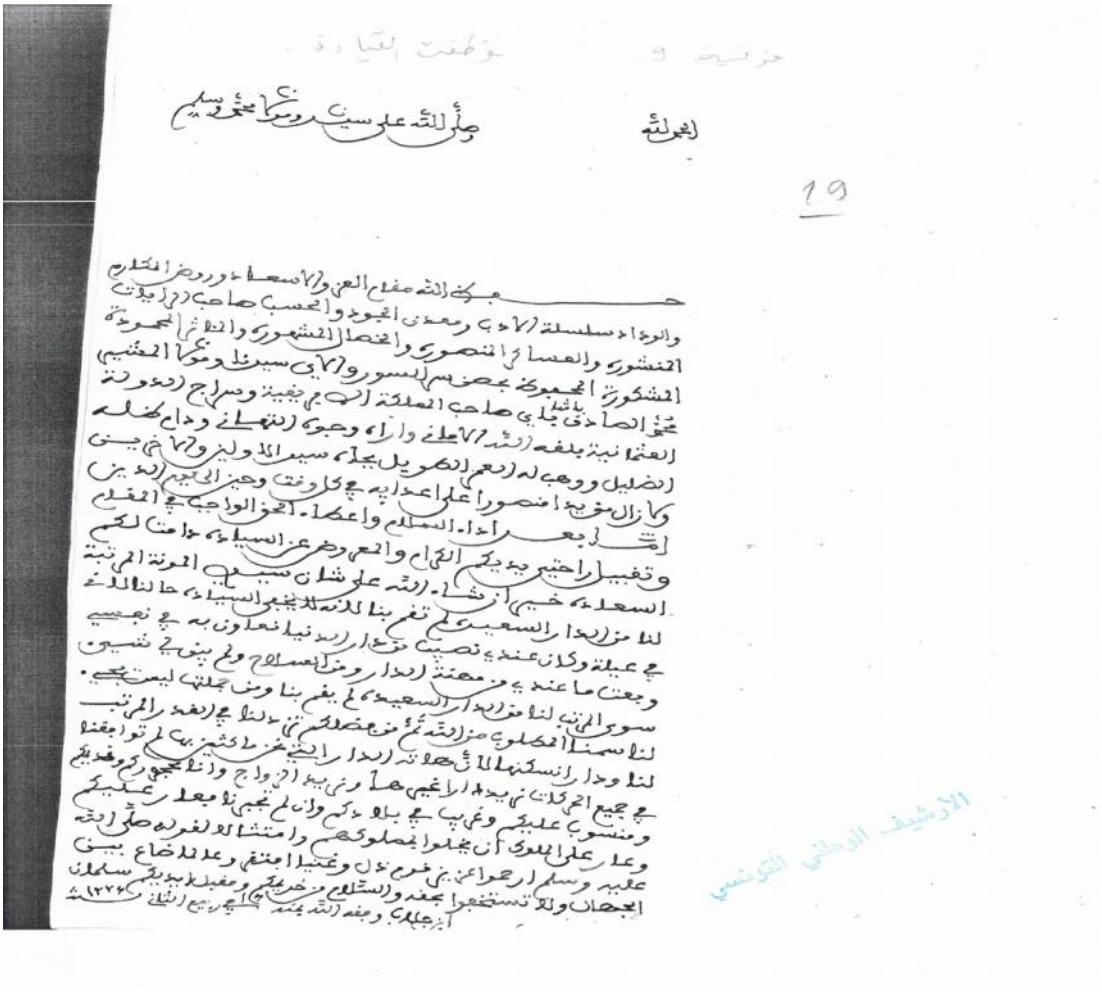

(1) الأرشيف الوطني التونسي: السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، وثيقة رقم 19.

الملحق رقم 02: رسالة الحاكم العام بالجزائر إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في 17 جويلية 1891م يخبره فيها بعدم قبول عريضة المقرانيين المتعلقة بطلب المساعدة المالية[1].

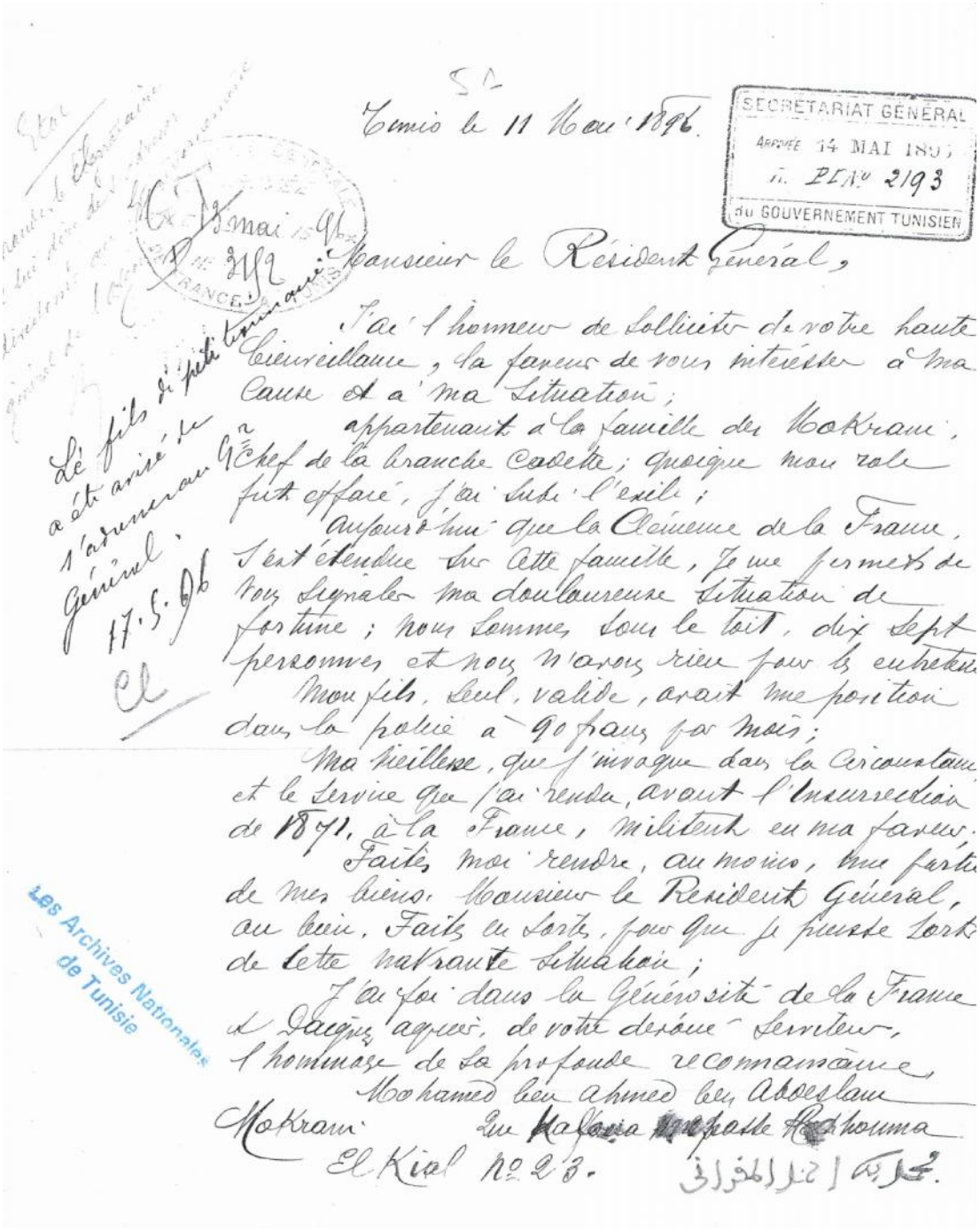

Tunis le 11 Mai 1891.

SECRETARIAT GÉNÉRAL
ARRIVÉE 14 MAI 1891
N. PLAN 2193
du GOUVERNEMENT TUNISIEN

Le fils de petit-neveu a été amené à l'adjudant Général. 17.5.91

Monsieur le Résident Général,

J'ai l'honneur de solliciter de votre haute bienveillance, la faveur de vous intéresser à ma cause et à ma situation;

appartenant à la famille des Mokrani, Chef de la branche cadette; quoique mon rôle fut effacé, j'ai subi l'exil;

aujourd'hui que la clémence de la France s'est étendue sur cette famille, je me permets de vous signaler ma douloureuse situation de fortune; nous sommes, sous le toit, dix sept personnes et nous n'avons rien pour les entretenir.

Mon fils, seul, valide, avait une position dans la police à 90 francs par mois;

Ma vieillesse, que j'invoque dans la circonstance et le service que j'ai rendu, avant l'insurrection de 1871, à la France, militent en ma faveur.

Faites moi rendre, au moins, une partie de mes biens. Monsieur le Résident Général, au lieu. Faites en sorte, pour que je puisse sortir de cette malheureuse situation;

J'ai foi dans la Générosité de la France et daigne agréer, de votre dévoué serviteur, l'hommage de la profonde reconnaissance.

Mohamed ben ahmed ben Abdelaziz Mokrani ex Khalifa ex pacha de Medjouma

El Kiaf n° 23.

Les Archives Nationales de Tunisie

(1) Archives Nationales de Tunisie : Série A, carton 278, Dossier n° 6:Lettre du Gouverneur Général de L'Algérie à Mr le Résident Général de France à Tunis Le 17 Juillet 1891, n° 50.

الملحق رقم 03: رسالة محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في 1896/05/11م التي شكاه فيها حاله البائس[1].

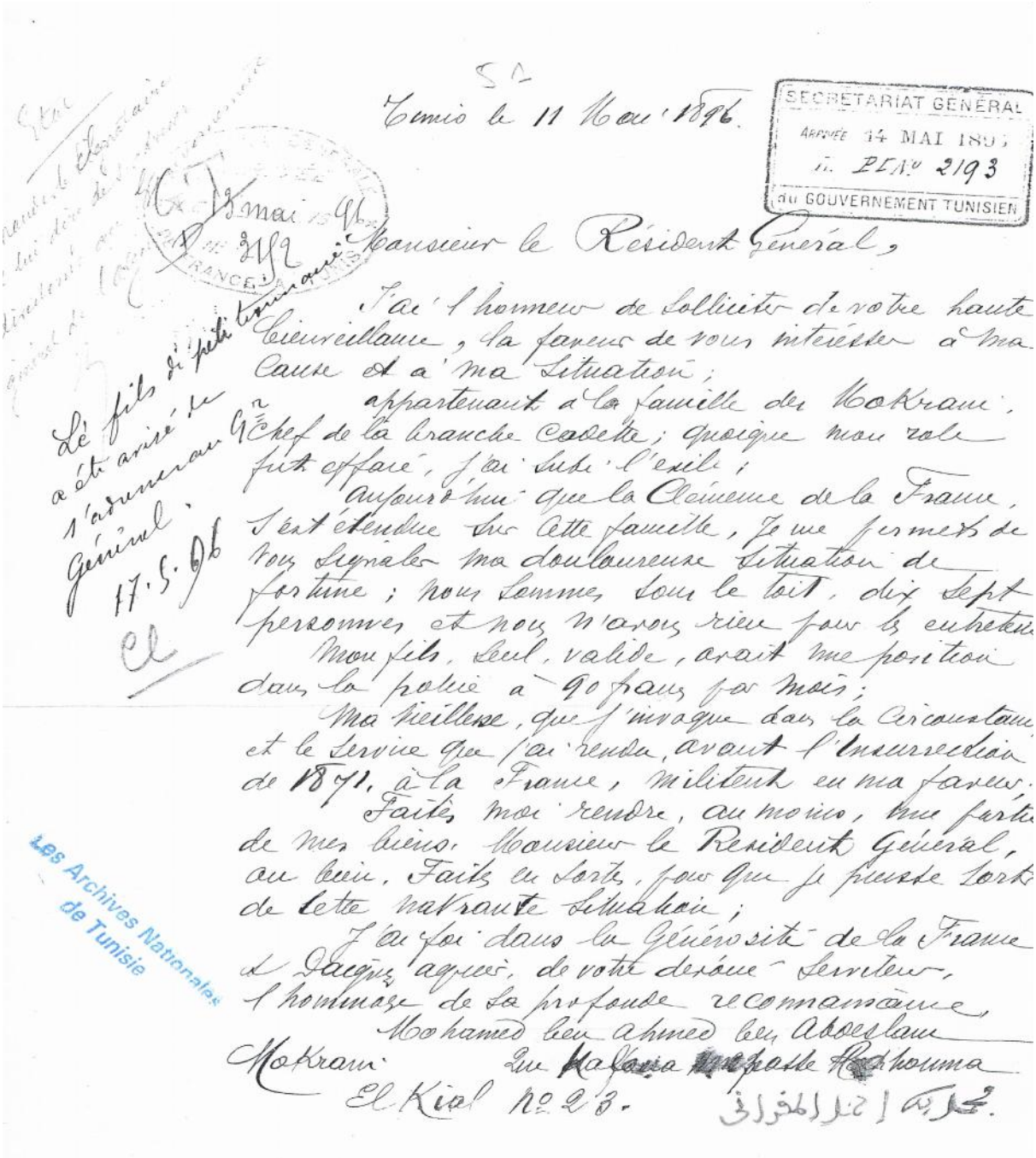

Tunis le 11 Mai 1896.

SECRETARIAT GÉNÉRAL
ARRIVÉE 14 MAI 1896
N. REG.° 2193
du GOUVERNEMENT TUNISIEN

Monsieur le Résident Général,

J'ai l'honneur de solliciter de votre haute bienveillance, la faveur de vous intéresser à ma cause et à ma situation;

appartenant à la famille des Mokrani, 2e chef de la branche cadette; quoique mon rôle fut effacé, j'ai subi l'exile;

Aujourd'hui que la Clémence de la France, s'est étendue sur cette famille, je me permets de vous signaler ma douloureuse situation de fortune; nous sommes sous le toit, dix sept personnes et nous n'avons rien pour les entretenir.

Mon fils, seul, valide, avait une position dans la police à 90 francs par mois;

Ma vieillesse, que j'invoque dans la circonstance et le service que j'ai rendu, avant l'insurrection de 1871, à la France, militent en ma faveur.

Faites moi rendre, au moins, une partie de mes biens. Monsieur le Résident Général, au nom, Faites en sorte, pour que je puisse sortir de cette navrante situation;

J'ai foi dans la Générosité de la France et Daigne agréer, de votre dévoué serviteur, l'hommage de la profonde reconnaissance

Mohamed ben Ahmed ben Abdesalam Mokrani

El Kiel N° 23.

محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني

Le fils du petit Caïd a été arrêté sur l'ordre du Gouverneur Général. 17.5.96

Les Archives Nationales de Tunisie

(1) Archives Nationales de Tunisie : Série A, carton 278, Dossier n° 6: Lettre de Mohamed ben Ahmed Ben Adbdesalam Mokrani à Mr le Résident Général de France a Tunis Le 11 Mai 1896 , n° 51.

الملحق رقم 04: رسالة محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في 1900/09/03م يطلب منه يد المساعدة[1].

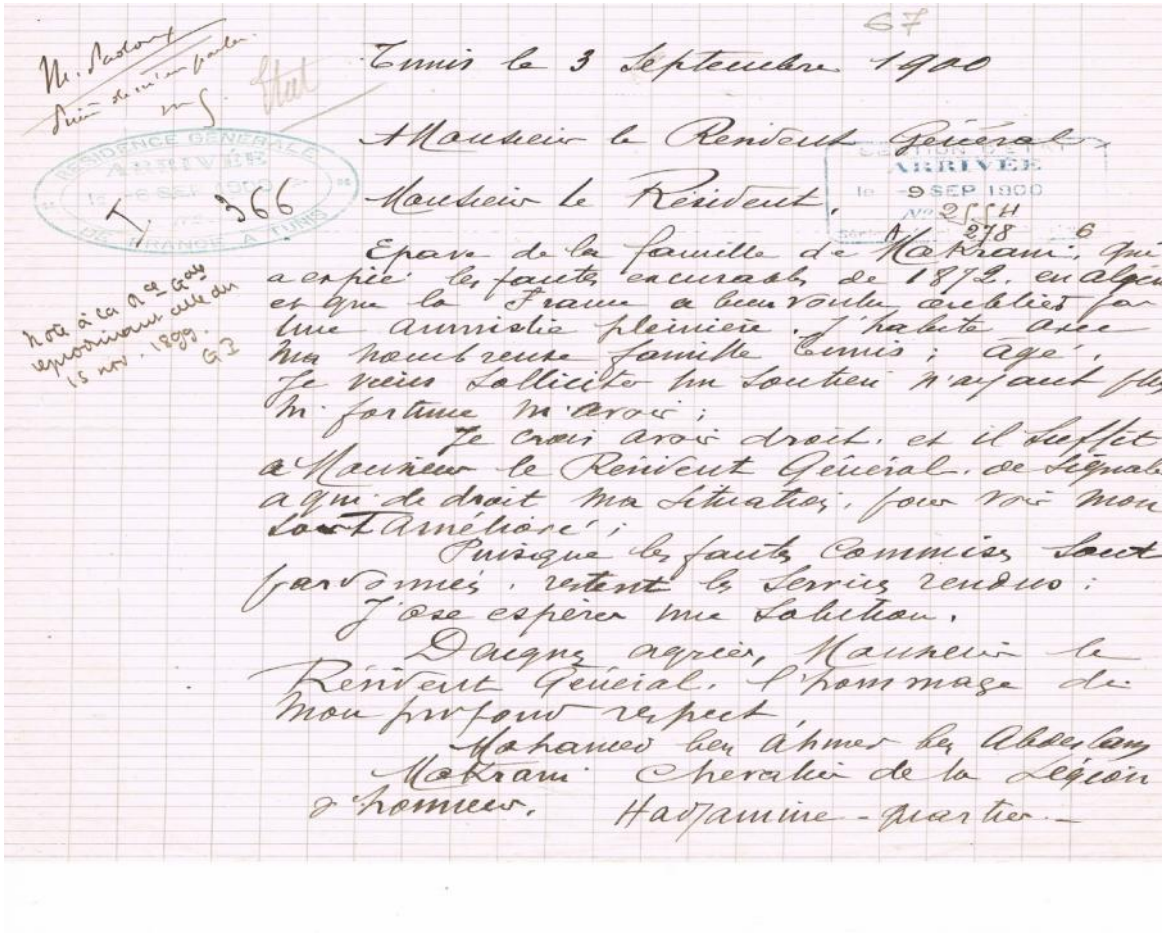

Tunis le 3 Septembre 1900

A Monsieur le Résident Général

Monsieur le Résident,

Epave de la famille de Mokrani, qui a expié les fautes encourues de 1871. en Algérie et que la France a bien voulu oublier par une amnistie pleinière. J'habite avec ma nombreuse famille Tunis ; âgé, je viens solliciter un soutien n'ayant plus ma fortune m'avoir ;

Je crois avoir droit, et il suffit à Monsieur le Résident Général, de signaler à qui de droit ma situation, pour voir mon sort Amélioré ;

Puisque les fautes Commises sont pardonnés, restent les Services rendues ;

J'ose espérer une Solution.

Daigne agréer, Monsieur le Résident Général, l'hommage de mon profond respect.

Mohamed ben Ahmed ben Abdesalam Mokrani Chevalier de la Légion d'honneur. Hadjamine - quartier -

(1) Archives Nationales de Tunisie : Série A, carton 278, Dossier n°6: Lettre de Mohamed ben Ahmed Ben Adbdesalam Mokrani à Mr le Résident Général de France a Tunis Le 03 Septembre 1900, n° 67.